

نرد هنا بعض الآيات التي ذكرها المطران بطرس شبلي في كتابه
"إسطفانوس بطرس الدويهي بطريك انطاكية".

الفصل الحادي عشر - في قداسة حياته وطهارة سيرته

والثاني عشر - في آخر حياة البطريرك إسطفان وانتقاله السعيد

وحظي البطريرك إسطفان بنعمة جزيلة من لدن الرب الذي منحه في حياته وبعد مماته قوة صنع المعجزات وشرفه في أقطار المسكونة وجعله مصباحًا في بيعته ينير السالكين في طرق الخلاص . ونحن نذكر هنا الآيات التي جرت على يده وبشفاعته كما وجدناها وكما رواها مؤرخو حياته وإن جهلنا زمان حدوثها:

1 قيل أنه لما كان في قرية مجدل معوش التهبت النار في حظيرة أحد الدروز فطفق هذا يتوسل إلى أوليائه وليس من يستجيبه فقال له الحاضرون توسل إلى شيخ مجدل معوش يريدون بذلك البطريرك إسطفان فصنع وللحال طفئت النار ولم تحدث بماله ضررًا. ولما كان الغد أخذ ماعزًا وغير ذلك حسب مكنته وقدمه للبطريرك وأخبره القصة بالتفصيل.

2 وفي أثناء وجوده في القرية المار ذكرها أي بين سنة 1683 - 1685 تعاهد بعض أهالي القرى المجاورة أن يأتوا بهدية إلى مجدل معوش لتقبيل أقدام البطريرك والتماس بركته وفي صباح يوم مجيئهم وجد أحدهم غائبًا فلم يدعوه ولم ينتظروا قدومه ولما حضر من غيبته وعرف بذهابهم دونه اغتاظ من ذلك جدًا وعزم على التوجه وحده لكنه حار في ما يقدمه للبطريرك وفي كيفية مواجهته له لأنه كان فقيرًا وبعد التروي أخذ شنبلاً من القمح ومضى . فقبله البطريرك بكل حنو وبشاشة وباركه وبارك ماله وأرزاقه فلما عاد الرجل إلى بيته رأى وعاء القمح مملوءًا قمحًا فأخذه العجب وذهب أخبر سيده بذلك وكان هذا درزيًا فأخبر الأمير بكلما جرى فقال له الأمير: لا تتعجب فإن البطريرك إسطفان قد صنع آيات تفوق هذه الآية . وكان الأمير يقول عن البطريرك أن له دالة عظمى على الله تعالى . حتى أنه كان يقول أيضًا: إن الملة المارونية إذا فقدت هذا البطريرك لا يبقى لها حال.

3 ومرة أخرى شتمت امرأة أختها واتهمتها بأمر شريرة زوراً على سماع البطريرك فقال لها
البطرك هذا اللسان يستوجب الربط. وفي الحال اعتقل لسانها.

4 ومرة استدعى البطريرك مشائخ الجبة وأعيانها للنظر في حالة البلاد وكان محل الاجتماع
تحت شجرة تين في قرية أيطو ولما أبوا الانقياد لكلامه طعنهم بنبال الحرم وغضب عليهم
فلوقت يبست التينة وتناثرت أوراقها وشهد البطريرك سمعان أن هذه التينة كانت باقية في
أيامه ناشرة على أغصانها اليابسة قوة سخط الدويهي.

5 ولما كان في بكفيا في إحدى السنين انحبس المطر مدة طويلة حتى أن الزروع والأشجار
تلفت وورق التوت تساقط وطلبوا أن يعمل طوافاً (زياحاً) في القرية ابتهاجاً لله فلما كان اليوم
الثاني قدم الذبيحة الإلهية على هذه النية واحتفل بالطواف مع أهل القرية وبعد الحفلة إذ
جلس على المائدة للغذاء سمع صوت الرعد ثلاثاً فظن البعض أنه صوت مدافع بوارج
دخلت ثغر بيروت وبينما هم يتحدثون تغير الجو وهطلت الأمطار بغزارة وانتعشت الأرض
والنبات. وكان حاضراً في بكفيا رجل تركي وعد أنه يصير نصرانياً إذا أمطرت السماء
فعندما رأى المطر فرّ إلى بلاد الدروز خوفاً من أن يلزمه بما وعد. وبعد ذلك بقليل لقي
جزاء كفره وقتل.

6 ولما كان البطريرك في بكفيا كان أحد الأولاد مريضاً وقد أشرف على التلف فلما رأى أبوه
حاله أرسل أحد بنيه إلى الكنيسة حيث كان البطريرك إسطفان يقدمك الذبيحة الإلهية وأمره
أن يأخذ في آخر القداس قليلاً من التراب الذي كان واقفاً عليه ففعل الولد كما أمره أبوه ثم
أخذ التراب وذوبه بقليل م الماء وسقى ابنه المريض منه فلما شرب الماء عوفي وفي الغد قام
يلعب مع الأولاد. وهذا الولد انخرط بعدئذ في سلك الكهنوت وصار أسقفاً وهو المطران
فيلبس الجميل. وخبر هذه الأعجوبة وغيرها مما سبق حرره القس مخائيل القرطباوي تلميذ
رومة وأرسله إلى المدرسة الرومانية بتاريخ 20 آب سنة 1705 وشهد أنه كان معلم الصبي
المذكور وأن والديه أقسما له أن الأمر جرى حسبما ذكرناه.

7 ولما كان البطريرك في كسروان تهدده أحد الأشرقياء بالقتل واستل مدية ليطعنه بها فابتلاه الله بالجنون وبعد أن أرسله أقاربه إلى دير قزحيا وعوفي عاش قليلاً ومات.

8 ومرة انحبس المطر طويلاً وكادت الزروع تجف فقام البطريرك مع المطارنة والأساقفة والإكليروس بالطواف من دير قنوبين إلى مغارة القديسة مارينا حاملين صورتها وعليهم الحلل الحبرية وقبل رجوعهم إلى الدير انحد المطر بغزارة. وهاتان الآيتان رواهما للبطريرك سمعان الخوري الياس شمعون الذي شاهدهما بعينه.

9 وأخبر كثيرون أنه لما كان في قرية ساحل علما انحدر برد شديد أضرب الأشجار وكان إذ ذاك البطريرك نائماً. فدخل عليه أحد الكهنة وأيقظه من نومه وقال له : يا سيدنا قد عطلت أرزاقنا وتلفت غلالنا فاشفع بنا بصلواتك. فنهض وقال لا تخافوا . ثم كشف عن رأسه ووقف في الباب وأخذ يصلي لله ويطلب منه لأن يطف بعباده ويرفع غضبه فوقف انحدار المطر حالاً.

10 - وأخبر البطريرك سمعان عواد قال : إن صديقنا الشماس يوحنا وهبه الدويهي¹ ابن أخ البطريرك إسطفان ذكر في كتاب له عن الحوادث الشهيرة التي صارت من سنة 1695 إلى سنة 1704 خبر آيتين أخريين نوردهما نقلاً عنه . قال أن النار اشتعلت ذات يوم في وادي قنوبين وامتد لهيبها من تحت الحدث إلى بريسات (إلى غربي كرسي الديران القديم) واستمر سعيها سبعة أيام متوالية فاحترقت الشجار من النهر إلى رأس الجبل وتشققت الصخور وأخذت تتدكرب وما عاد أحد يتجاسر يمرّ في الوادي وفي أحد الأيام عند الظهر خرج السيد البطريرك ينظر الحريق وبجانبه المطارين وبعض الكهنة والشمامسة وجمهور أناس غيرهم وبينما هو ينظرون انفصل صخر كبير من الشير الذي تحت بريسات وسقط نحو الجزيرة التي قبال الطاحون في قاطع بريسات فصرخوا جميعهم متأسفين : راحت الجزيرة : فرجع البطريرك يمينه ورسم نحو الصخرة إشارة الصليب وقال لها : تهدي يا مباركة . فوقفت في مكانها في نصف الطريق وشاهده ا جميع المارين من هناك . ومن الذين حضروا هذه

¹ ليوحنا وهبه كتاب عنوانه عامود إسرائيل عثرت على نسخة منه في مكتبة دير فيطرون وأربعة كتب في الو عظ والإرشاد وفي مقدمة كتابه الأول يقول أنه كان في رومة سنة 1706.

الأعجوبة يوحنا وهبه الذي كتبها في مجموعته السابق ذكره والشماس سمعان عواد الذي نقلها عنه وكان شاهداً عياناً.

الآية الثانية التي شاهدها ابراهيم الغزيري الذي ترأس على دير مار يوحنا رشميا لما كان الدويهي في مجدل معوش وأخبرها لتلاميذ المدرسة بعد ذهابه مع مخائيل المطوشي إلى أم المدائن وأخذها عنه سمعان عواد وحفظها في ترجمة بطريركنا المغبوط قال انه لما كان البطريرك إسطفان في جبل الشوف يتفقد الرعية في قرية الباروك قدم رجلان من الدروز وتوسلا إلى كاتب البطريرك وموازيه أن يتنازل ويمر بالقرب من حوانيتهم لأنهم كانوا صباغين وتعبوا كثيراً في هذه الحرفة ولم يدركوا التوفيق وأقروا أن رجاهم وطيد بصليب بطريرك الموارنة وأنهم يلتمسون منه أن يرسم الصليب على أدواتهم . فبلغ أمرهم حبرنا المطوب فأمر أن يرموا بحوانيتهم ولما وصل إليها رفع يده وأمرهم أن يرموا الأنسجة في الصباغ فمسكت بها الأولان واصطلحت أمورهم . قال البطريرك سمعان عواد بعد كلامه عن عن هاتين الآيتين : أنا بنفسى أشهد بهذا كله لأن العجبية الأولى قد شاهدها بعيني ولمست بيدي الصخرة التي أوقفها البطريرك إسطفان والثانية رواها صديقي ورفيقي الشماس حنا المذكور وحكاها لي الخوري ابراهيم الغزيري الذي ذهب بنا إلى رومة.

11 - وقيل أنه كان على طريق حصرون صخرة كبيرة وفي هذه الصخرة كان يتراى الشيطان بصورة قرد ويخيف العابرين ويؤذيهم فلما كان البطريرك إسطفان مرة ما في حصرون طلب إليه الحصارنة أن يرفع يمينه على الصخرة المذكورة ويرسم إشارة الصليب ففعل وأمر العابرين من هناك أن يسموا ذواتهم بسمه الصليب المقدس . فتوارى الروح الشرير ولم ينظره أحد بعد ذلك.

12 - وقد عثرنا في صفيحة قديمة العهد على خبر المعجزتين الآتي ذكرهما : شرب رجل من آل حماده نخب مار إسطفانس فتعارضه أحد رفاقه وفاه بحق البطريرك المذكور بكلام غير لائق لكنه ما فرغ من كلامه إلا ووقع مصروعاً على الحضيض فلما شاهد النصرى الحاضرون ما كان من أمره تناول أحدهم قدح خمر ورماه في الجو وقال : سرك يا بطرك إسطفانس فوق القدح الزجاج على الحجارة ولم ينكسر ولم يرق ما فيه . قال المؤرخ المجهول: هاتان الأعجوبتان سمعتهما من الشماس عازار المقدسي الذي شاهدهما بعينه.

نرد بعض الآيات التي شاء الله ان تحدث بشفاعه البطريك اسطفان الدويهي بعد وفاته

بعد موته شاء الله أن يعطي الآيات بشفاعته كما كان يفعلها في حياته ونحن نختم ترجمة البطريك المغبوط بذكرها نقلاً عن رواية البطريك سمعان عواد.

1 قال المؤرخ المذكور عن ذاته : أنا سمعان عواد بينما كنت راجعاً من رومة مع رفيقي الشماس يوحنا وهبه عصفت الرياح وتعالّت الأمواج فانزعجنا جداً وبعد ما أقبل المركب بنا إلى إحدى المين اختلقت الريح وردته إلى الورا فأشرف على الغرق . فتوسلت إلى البار إسطفانس وقلت : يا مار إسطفانس اشفع بنا ونجنا من هذا الضيق وبلغنا الميناء بالسلام . ونذرت تنميم سيرته إذ كنت ابتدأت بها قبل سفري من رومة . فسكنت الريح والأمواج وبلغنا الميناء سالمين .

2 وأخبر أيضاً آية أخرى شاهدها بنفسه قال : إن ابرهيم جلوان السمراني أحد تلامذة المدرسة مرض مرضاً ثقيلاً واشتدت عليه حمى خبيثة وأشرف على التلف فجاءه معلم اعترافه بذخائر القديس لويس والقديس اغناطيوس فلم يشعر بفائدة ولم ينل فرجاً فلما رأيته أنا سمعان عواد بهذه الحالة أخذت كتاباً من كتب البار إسطفانس ووضعت على رأسه وقلت مصلياً : اللهم الذي زينت حبرك بالفضائل والاستحقاق أسأ لك أنه كما كان لنا أباً على الأرض فليكن لنا شفيحاً لديك ونسألك بواسطته أن تشفي عبد هذا . ثم فتحت الكتاب وقلت له أن يقبل خاتم البطريك وخط يده وجعلت الكتاب فوق رأسه ونزلت إلى العشاء . وبعد قليل صعدت إلى غرفته فأخذني العجب لأنني فارقت مضطجاً يتلقى من شدة الحمى ووجدته عند رجوعي إليه جالساً معافى . وعجبت مع إخوتي التلاميذ الذين عاينوا الآية ومجدنا الله تعالى .

3 ومن الآيات التي صنعها بعد موته أن رجلاً من قرية بلوزا واسمه بطرس كبيش كان مذنوباً بمرض عضال من زمان طويل فطلب من ذويه أن يحمّوه إلى مغارة القديسة مارينا حيث قبر البطريرك إسطفان ليطلب شفاعته ويستغيث به فحمّوه إلى المغارة المذكورة ووعوه على قبر البطريرك وتركوه ودخلوا الدير للغذاء . فأخذ المريض يتوسل إليه فتراى له القديس بصورة بهية لابسا الحلة الحبرية وعلى رأسه تاج الرئاسة وعلى منكبيه درع كمال السلطان البطريركي وإذا برائحة لذيذة عبقت بها المغارة فطفق المريض يتوسل ويبتهل بحرارة لذيذة عبقت بها المغارة فطفق المريض يتوسل ويبتهل بحرارة فخاطبه البطريرك بألفاظ عذبة قائلاً : يا بطرس كبيش ماذا تريد . فأجابه : يا سيدي أن أشفى . فقال له : المسيح يشفيك . وتوارت الرؤيا فنهض بطرس وأخذ يمشي مستويًا ودخل الدير مخبرًا بما جرى له فعجب من ذلك الذين أتوا به محمولاً والحاضرون ومجدوا الله . وبينما كان راجعاً إلى بيته التقى براهبين فرنسيين فقص عليهما الأعجوبة . فلم يصدقاها حتى أثبت خبره بالقسم على الإنجيل الطاهر .

4 وقد حدث مثل هذه الآية مع بركات بن رزق ومع الياس محاسب الغسطاوي الذي صار بعدئذٍ مطران عرقا .

5 وقيل أن البطريرك إسطفان لما كان آتياً إلى كسروان مرّ بمحل يسمى وطا البربارة في بلاد جبيل على طريق البحر فوجد بعض الفلاحين يحرقون الأرض الصعبة تاركين الحيدة بوراً . فسألهم عن سبب ذلك فقال له أحدهم : يا معلم (لأن سكان تلك القرى من الطائفة الملكية) أن في الأرض الحيدة دودة تأكل الزرع حين تخرج أسبالة فتركناها . فطلب منهم البطريرك ماء وصلّى وأمرهم أن يرشوه عليها ففعلوا وزرعوا الأرض فلم تؤذها الدودة إلى حين وفاته وحينئذ رجعت الدودة كما في السابق وتركت الأرض فاتفق أن الشيخ يوسف الدحداح العاقوري كاتب الشيخ اسماعيل بن سرحال حمادة حضر إلى تلك القرى لجمع الأموال الأميرية فقصوا عليه الحادثة فقال لهم : يذهب واحد منكم إلى قنوبين ويسأل عن ضريح البطريرك إسطفان ويأخذ من تراب ضريحه والقوة في حقولكم وازرعوها . ففعلوا كما أمرهم وزرعوا الأرض فأثمرت وهم يزرعونها إلى الآن وشهد بحقيقة هذه الآية كثيرون .

وكل الآيات السابق ذكره ا كانت محررة باللاتينية ومحفوظة في مدرستنا الرومانية وقد أرسلها للمدرسة المذكورة الشدياق مخائيل القرطباوي تلميذ رومة في العشرين من آب سنة 1705 وأثبت أنه سمعها من الذين حدثت معهم.

قال البطرك سمعان عواد أن المسقومين يأخذون من تراب ضريح الدويهي من مغارة القديسة ومن العشب الذي ينبت عليه ويتباركون منه ويشفون من سائر أمراضهم وإن من أنكر ذلك لقد أنكر ضوء الشمس.

ونحن بالروح والشوق نجثو على حضيض تلك المغارة التي جثا فيها أبونا وفخرنا البطريرك إسطفانس ونطلب بشفاعته وشفاعة صاحبة المقام البركة لنا وللطائفة ونقبّل بعوظف حارة التراب الذي ضم أعظمه.